[١]

الأدب والعلم والثقافة الثالثة

لم يكن تشارلس بيرسى سنو (١٩٠٥ – ١٩٨٠) يتصور أن محاضرته التى ألقاها بجامعة كيمبريدج فى السابع من مايو ١٩٥٩ ستثير كل هذه الزوابع ، وأن يكون لها كل هذا الصدى فى العالم بأسره ، كان عنوان المحاضرة هو « الثقافتان والثورة العلمية » ، وقد طبعت فى كتاب صدرت منه ٣١ طبعة حتى عام ١٩٩٣ ، وترجم إلى لغات عديدة ، والثقافتان اللتان يعنيهما سنو هما ثقافة المفكرين من الأدباء ، وثقافة العلماء ، قال إنه قد وجد بين هؤلاء وهؤلاء شكوكا متبادلة ، مما قد يكون له أثر مدمر على تطبيق التكنولوجيا وحل مشاكل العالم .

لكلمة « الثقافة » بعنوان المحاضرة معنيان ، كلاهما – كما يقول سنو – يصح للموضوع ، أولهما يقول : إن الثقافة هى « التطوير الذهني ، تطوير العقل » ، أما التعريف الثانى ، ويستخدمه الأنثروبولوجيون ، فيقول : إن الثقافة مجموعة من الأفراد تربطهم عادات مشتركة وافتراضات مشتركة ، وطريقة مشتركة فى الحياة .

العلماء من ناحية ، والمفكرون الأدباء من ناحية ، يمثلان بالفعل ثقافتين مختلفتين من وجهة النظر الأنثروبولوجية هذه . نحن أبناء زماننا ، ومكاننا ، وخبراتنا .

لم يكن سنو هو أول من ثار هذه القضية ، ففى عام ١٨٨٢ ألقى ماثيو آرنولد محاضرة ريد فى نفس المكان الذى ألقيت فيه محاضرة سنو ، كان الموضوع هو « الأدب والعلم » ، أكد ماثيو أن باب « الأدب » لابد أن يشمل كل الكلاسيكيات القديمة ، ومنها كتاب « المبادئ » لإسحق نيوتن وكتاب « أصل الأنواع » لتشارلس داروين . الأدب والعلم ليسا متباينين تمامًا ، كلاهما يستحق مكانه فى التعليم المتكامل غير أنه قال : إن التدريب فى العلوم الطبيعية قد يُنتج حقًا المتعلم الممتاز ، لكن لا غنى عن الأدب « للمتعلم » ، لاسيما أدب لعصور القديمة .

من هو سنو ؟

كان سنو عالما ، مثلما كان أديبًا . كان يتحرك بين « الثقافتين » قدم هنا ، وقدم هناك ، بدأ حياته فى حقل العلم ، حصل على الماجستير فى الكيمياء عام ١٩٢٨ ، وسجل درجة الدكتوراه بجامعة كمبريدج في أكتوبر ١٩٢٨ ، وبدأ بحثه فى معمل كافنديش الشهير على التحليل الطيفى ، لكنه اضطر إلى أن يترك حقل العلم عندما نشر بمجلة « نيتشر » هو وزميل له أنهما اكتشفا

طريقة لإنتاج فيتامين أ اصطناعيًّا ، وثبت خطوُها . اتجه إلى مجال الأدب ، فنشر عام ١٩٣٢ رواية بوليسية عنوانها « جريمة تحت الشراع » ، أعقبها فى سنة ١٩٣٤ بأخرى عنوانها « البحث » ، وطد نفسه ككاتب جاد ، وأصدر ما بين ١٩٤٠ ، ١٩٧٠ أحد عشر مجلدًا تحت عنوان « غرباء وأخوة » كان توزيعها واسعًا وترجمت إلى العديد من اللغات . حصل فى عقد الستينات على عشرين درجة فخرية ، لكن يظل اسم سنو معروفًا ومرتبطًا بكتاب « الثقافتان » قبل أى شىء آخر .

من يحملون المستقبل فى عظامهم

يقول سنو : دراستى علمية ومهنتى الكتابة . كنت أتحرك بين مجموعتين – متقاربتين ذكاء ، من سلالة واحدة ، لا تختلفان كثيرًا فى البيئة الاجتماعية ، لهما نفس الدخل تقريبًا ، لكن الاتصال بينهما قد توقف أو يكاد – ليس بينهما مشترك إلا القليل فى المناخ العقلى والأخلاقى والتكنولوجى ، يرى سنو أن العلم هو الأمل الكبير لعالم أساءت الصفوة تدبيره وقادته إلى الكساد الاقتصادى وإلى حافة حرب أخرى مدمرة ، صفوة ثقافتهم تقليدية صبغها وأثر فيها كثيرًا : المفكرون الأدباء ، الصياغة لم تكن لهم ، لكن كلماتهم كانت تنساب فى عقول من يصنعون القرارات ، وثقافة الأدب ليست كثقافة العلم ، هى لا تُصْلِح نفسها أوتوماتيكيا ،

تغيُّرها بطيء بطيء ، ومن ثم ففترات ضلالها أطول وأطول . نمت لديه كراهية « للمفكرين من الأدباء » ، تمكنت منه طوال عمره . كان يكره من يضع ت . س إليوت فى مكانة تعلو مكانة هـ . ج . ويلز . العلماء هم من يحملون المستقبل فى عظامهم ، هم من يهتمون – بطبيعتهم – بخير البشرية ومستقبلها : المحافظ منهم (ج . ج . طومسون) والليبرالى (آينشتين وبلاكيت) ، المتدين منهم (أ . هـ . كومبتون) والمادى (برنال) ، الأرستقراطى منهم (ده برولى وبرتراند راصل) والبروليتارى (فاراداى) ، الثرى منهم (فيكتور روتشيلد) والفقير النشأة (رذرفورد) . كلهم سيستجيبون نفس الاستجابة دون تفكير إذا عرضت عليهم مشاكل جنس البشر ، هذا ما تعنيه الثقافة .

أما الأدباء ..

أما كبار الأدباء ، فماذا فعلوا ؟ ألم يتملق دستويفسكى بوبيدونوستيف الذى كان يرى أن الخطأ الوحيد فى نظام الرق هو عدم وجود ما يكفى من العبيد ؟ ألم ينته عزرا باوند بأن أصبح مذيعًا فى خدمة الفاشيست ؟ وفوكنر ، ألم يتبرع بتقديم أسباب عاطفية تبرر معاملة السود كنوع متخلف ؟ .. لقد ترك هؤلاء الكتاب شعورهم بالطبيعة المأساوية لحياة الفرد ، يعميهم عن رؤية ما يحتاجه إخوتهم فى البشرية ، اتسم موقفهم بالانهزام ،

بالانغماس فى الذات ، بالغرور – والثقافة العلمية تكاد تكون بريئة من مثل هذه الصفات » الروائي الكبير سنو قد اتخذ فى محاضرته هذا الموقف العدائى الصريح تجاه ثقافة الأدباء .

هاردى .. من يكون ؟

إذا ما جلس رجال الأدب إلى بعضهم ورأوا أن ليس بينهم غريب – يقول سنو – أشاروا إلى أنفسهم على أنهم « المثقفون » ، وكأن ليس ثمة غيرهم ! يتذكر سنو ما قاله جودفرى هارولد هاردى فى الثلاثينات : « هل لاحظت كيف تستخدم كلمة (مثقف) الآن ؟ يبدو لى أن ثمة تعريفًا جديدًا للثقافة لا يضم بالتأكيد رذفورد ولا إدنجتون ولا ديراك ولا أدريان ، ولا أنا ! تعريف غريب ، أليس كذلك ؟ » . رجعتُ إلى معجم الأعلام بقاموس « المورد » لأبحث تحت اسم هاردى ، فلم أجد إلا توماس هاردى (١٨٤٠–١٩٢٨) الروائي الشاعر ، ولم يرد اسم ج . هـ . هاردى (١٨٧٧ – ١٩٤٧) أستاذ الرياضيات بجامعة كمبريدج وأحد كبار العلماء الانجليز ، وهو عالم يعرفه كل دارسى علم وراثة العشائر بقانونه الشهير (قانون هاردى فاينبرج) الذى اكتشفه فى نفس العام (١٩٠٨) مع فاينبرج الألمانى .

بحر من سوء الفهم

لمفكرون الأدباء فى ناحية ، والعلماء فى أخرى ، وبينهما

بحر من سوء الفهم يصل كثيرًا إلى درجة العداء والكره – خصوصًا بين الشباب . مواقفهم مختلفة تمامًا ، حتى أنهم لا يجدون أى مساحة مشتركة للقاء ، حتى على مستوى العواطف . الأدباء لديهم انطباع راسخ بأن العلماء وقحاء متبجحون ، متفائلون سطحيون ، لا يدركون وضع الإنسان ، يذكرون رد رذرفورد على مَنْ قال له يومًا « يا أيها المحظوظ ، أنت دائما تركب الموجة ! » إذ ابتسم قائلاً « والموجة من صنعى ، أليس كذلك ! » .

النظرة الثانية :

عاد سنو فى محاضرة أخرى فى نفس الموضوع ألقاها عام ١٩٦٣ بنظرة ثانية ، قال فيها إنه كان بطيئا فى ملاحظة تطوير لما قد يكون « ثقافة ثالثة » . لكنه رأى أنه قد يكون سابقا لأوانه أن نتحدث عن ثقافة ثالثة موجودة بالفعل هى آتية لا ريب ، لكنها لم تفصح عن نفسها بعد . ستُجَسِّر هذه الثقافة الهوة بين العلماء ، وبينهم وبين المفكرين الأدباء . فى هذه الثقافة سيتم الاتصال بين الفريقين . على الثقافة الأدبية – إذا كان لها أن تقوم بدورها المطلوب – أن تتصل بالثقافة العلمية .

الثقافة الثالثة

لكن العلماء الآن لا يتصلون بالمفكرين الأدباء . إنهم يتصلون مباشرة بالجمهور ، مفكرو الثقافة الثالثة ، العلماء ، يتجهون

إلى تجنب الوسيط ، ويحاولون أن يعبِّروا عن أعمق أفكارهم بأسلوب يسهل على القارئ الذكى أن يستوعبه ، هكذا رأى جون بروكمان فى كتابه « الثقافة الثالثة » (١٩٩٥) . ثمة كتب علمٍ جادة قد ظهرت مؤخرًا بيع منها أكثر من مليون نسخة (مثلا : تاريخ موجز للزمان : لمؤلفه بروفسور ستيفن هوكنج ١٩٨٨) ، قال مفكرو « الدقة » القديمة إن هذه الكتب تشترى ولا تقرأ ، لكن الواضح أن الكثيرين يشعرون بجوع فكرى حقيقى للأفكار لجديدة المهمة ، ويحاولون أن يبذلوا الجهد لتثقيف أنفسهم بدأ الناس ، عامة الناس ، يعجبون بمفكرى الثقافة الثالثة ، ليس فقط لقدرتهم على الكتابة المبسطة ، وإنما أيضا لأن ما كان تقليديًّا يسمى « العلم » ، قد أصبح اليوم « ثقافة عامة » . يقول ستيورات براند : « الأخبار الحقة اليوم هى العلم ، تصفح جريدة أو مجلة ، الأخبار الاجتماعية هى هى كما كانت : قيلٌ وقال ، السياسة والاقتصاد هما نفس الدراما القديمة الحزينة ، الأزياء نفس الوهم بالطزاجة ، بل ويمكنك أن تتنبأ بالتكنولوجيا إذا عرفت العلم . الطبيعة البشرية لا تتغير كثيرًا ، لكن العلم يتغير . والتغير يتراكم ويحول العالم تحولاً لا رجعة فيه . من بين أهم موضوعات العلم التي تأخذ مكان الصدارة الآن فى الجرائد والمجلات – كما يقول بروكمان « البيولوجيا الجزيئية ، الذكاء الاصطناعى ، نظرية الفوضى ، الشبكات العصبية ، كوننا الذى يتسع ، الأوتار الفائقة ، التنوع الحيوى ، النانوتكنولوجيا ، الجينوم

البشرى ، النظم الخبيرة ، نظرية جايا ، الواقع الافتراضى ، وليس ثمة ، فى الثقافة الثالثة ، قائمة معتمدة بالأفكار المقبولة . إن قوة الثقافة الثالثة تكمن بالتحديد فى أنها تقبل اختلاف وجهات النظر حتى بالنسبة للأفكار التى يصح أن تعتبر جادة » .

دور المفكرين فى هذه الثقافة يتضمن عملية الاتصال ، المفكرون هنا ليسوا مجرد أناس يعرفون ، إنما هم أيضا ينقلون أفكارهم إلى الجمهور ويشكلون أفكار جيلهم ، هم بأعمالهم وكتاباتهم يحلون الآن محل المفكر التقليدى فى إضاءة المعنى الأعمق لحياتنا ، وفى إعادة تعريف : من نحن ومن نكون . هم يقدمون صورًا حقيقية لكياننا ولعقولنا ولكوننا وكل ما نعرف فيه ، إننا نشهد اليوم ، كما يؤكد بروكمان ، تحرك الأضواء من جماعة مفكرى الأدب التقليدى إلى جماعة جديدة ، مفكرى الثقافة الثالثة الجديدة ، وعن هذه الثقافة ستظهر فلسفة جديدة .

العلماء يقولون إن المفكرين التقليديين رجعيون بمعنى ما ، هم فى الأغلب يجهلون الكثير من إنجازات عصرنا الذهنية الجوهرية . ثقافتهم غير تجريبية ترفض العلم . تستعمل رطانتها وتغسل غسيلها . أوضح ما يميزها تعليقات على تعليقات ، لولب من التعليقات يتضخم ويتضخم حتى أن يصل في نهاية الأمر إلى وضع يضيع فيه العالم الواقعى . ولا إلى مثل هؤلاء يجب أن نسلم زمام قيادتنا .

ازدادت إذن حدة المواجهة بين « الثقافتين » – الأدبية والعلمية – بظهور الثقافة الثالثة ، التى ستؤثر فى حياة كل فرد على ظهر الأرض – الثقافة التى يمثلها الآن علماء لديهم القدرة على عرض أفكارهم الجديدة بأسلوب بسيط يستوعبه كل قارىء ذكى . ربما من المفيد أن ننقل هنا مختصرًا لآراء بعض كبار مفكرى هذه الثقافة الجديدة كما جاءت فى كتاب « الثقافة الثالثة » ، فالقضية لا شك تهمنا نحن أيضًا .

رأى ستيفن ج جولد

(من علماء التطور)

الثقافة الثالثة فكرة فى غاية الخصوبة . يظن المثقفون الأدباء أن الساحة ساحتهم وحدهم ، فى حين أن الواقع يقول : إن هناك جماعة من الكتاب مادتهم العلم ، فى رءوسهم كوكبة هائلة من الأفكار الساحرة التى يود الناس أن يقرءوا عنها ، وللبعض منهم أسلوب مهذب يستطيعون به التعبير عن أنفسهم بصورة طيبة جدًا .

قال بيتر مدوَّر – حامل جائزة نوبل وأحد كبار العلماء ذوى النزعة الإنسانية – إنه من الظلم أن يعتبر أهل الآداب العالِم الذى لا يعرفه الكثير عن الفن والموسيقى شخصا غبيا متخلفا ، في حين أنهم لا يرون ضرورة لأن يعرفوا هم شيئًا عن العلم حتى

يُعتبروا متعلمين . كل ما يلزم أن يعرفه الشخص المتعلم عندهم هو الفن والموسيقى والأدب ، ولا علم !

هذا أمر غير سليم . لا ولاهو يعكس الواقع . صحيح أننا لن نجد نسبة عالية من الأمريكيين يفهمون العلم جيدًا . لكن الاهتمام بالعلم قوى جدًّا بين من يشترون الكتب – على الرغم من نسبتهم المحدودة .

رأى موراى جيل مان

(من علماء الفيزياء النظرية)

درج العلماء على وضع كتب تخاطب الجماهير المهتمة بالعلوم . ثم جاء حين من الدهر كاد فيه هذا النشاط أن يموت – فى أمريكا على الأقل . إنه لاتجاه صحى جدًّا ما نشهده الآن . لقد بدأ العلماء الجادون مرة أخرى فى الكتابة عن أعمالهم ، ووجهوا خطابهم إلى الجمهور ، أحيانا من خلال وسيط صحافى ، لقد كان هناك دائما بين كبار العلماء – وسيكون هناك دائما – من يستطيع الاتصال بنجاح بالغ بالجمهور دون وسيط .

هناك بكل أسف من أهل الآداب والإنسانيات – وربما أيضا من رجال العلوم الاجتماعية – من يفخر بأنه لا يعرف إلا القليل عن العلوم والتكنولوجيا والرياضيات . لكن الظاهرة العكسية نادرة جدًّا ، صحيح أنك قد تجد بين الفينة والفينة عالمًا يجهل شكسبير ، لكنك أبدا لن تجد عالما يفخر بأنه يجهل شكسبير .

رأى دانييـل دينيت

(من الفلاسفة)

إن ما يميز النجاحات لكتب العلم يرجع إلى طبيعة التداخل بين العلوم فى الكثير من المحاولات العلمية الحديثة . يكتب الأساتذة الآن ليخاطبوا غيرهم فى الفروع الأخرى من العلم ، وبذا تكون لغتهم سهلة يتجنبون فيها رطانة تخصصهم . إن أسوأ ما يمكن للمتخصص أن يفعله هو أن يستخف بمن يخاطبهم . إنه بذلك يهينهم ، هناك فرق بين أن يكون فهم القارئ لك صعبا وبين أن يكون فهمه لك متعذرًا .

رأى ريتشارد دوكينـز

(من علماء التطور)

استولى علماء الأدب على أجهزة الإعلام الفكرية ، هكذا أرى – وأرجو ألا يكون شيء من جنون الاضطهاد قد أصابنى ! لا أقصد فقط كلمة « الفكرية » . لقد قرأت مؤخرًا مقالة كتبها ناقد أدبى عنوانها « النظرية : ما هى ؟ » أتصدقون ؟ لقد اتضح أن « النظرية » هى « نظرية فى النقد الأدبى » . لم تكن المقالة فى مجلة من المجلات المتخصصة فى النقد الأدبى ، إنما فى مجلة عامة . لقد اختطفوا كلمة « نظرية » لتستخدم فى غرض أدبى

محدود ضيق للغاية – كما لو لم يكن هناك لآينشتين نظريات، ، كما لم يكن لداروين نظريات !

إننى أحيى فكرة أن ينقل العلماء ، والمدرسون بعامه ، أفكارهم الأصيلة فى كتب يقرؤها الناس فى التخصصات الأخرى ، لقد وضعتُ كتبى بلغة يمكن للقارئ الذكى أن يستوعبها ، وأود لو رأيت الكثيرين يفعلون نفس الشيء .

قال لى بيتر مدور إن هناك فروعًا من العلم صعبة فعلاً ، فروعًا تحتاج إلى عمل شاق حقًا إذا أردت أن تعرضها على الجمهور بلغة سهلة ، وهناك أيضا فروع أخرى هى فى الأصل سهلة جدا ، فإذا أردت أن « تؤثر » فى الناس لجأت إلى لغة أصعب مما يلزم ! وهناك مجالات « يَغِير » فيها الكتاب من الفيزيقا فيرغبون فى أن يُعامل موضوعُهم كما لو كان صعبًا جدا ، حتى لو لم يكن كذلك ! والفيزياء صعبة حقًا . ثمة صناعة كبيرة تعتمد على تبسيط أفكارها العويصة حتى يفهمها الجمهور ، لكن هناك صناعة أخرى تأخذ الموضوعات السهلة وتكتبها بحيث تبدو صعبة - تُغَلَّف فى لغة مبهمة لا لغرض إلا الإبهام حتى تظهر معقدة عميقة !

رأى ستيف جونز

(من علماء الوراثة)

إن أفضل طريقة لتقييم « الثقافة الثالثة » هى أن نسأل هل

كانت هناك يوما أكثر من ثقافة » ؟ هذا سؤال محورى . هل التعلم يقبل القسمة ؟ أم أنه كل واحد ؟ من عام ١٥٥٠ وحتى عام ١٩٥٠ كانت الإجابة واضحة .

الثقافة هي الثقافة – على الرغم من أن أحدًا ، بعد ميلتون ، لم يعد يستطيع أن يعرف كل شيء . ثم جاء سنو ليقترح تقسيمًا ، ربما كان غير حقيقى . إننى غير مقتنع بأنه قد أسقط أربعمائة عام من الحضارة ، وإن كان – ربما – قد حطم غرور قلة ممن كانوا يحيطون به من الأدباء المتغطرسين متوسطى القيمة .

السؤال الآن ، مثلما كان أيام سنو ، هو عما إذا كانت هناك ثقافة يمكن لأى متعلم أن يتعلق بها . والإجابة أنه إذا لم توجد ثمة ثقافة فمن الواجب حقا أن نوجدها . إذا لم يكن فى استطاعتك أن تتحدث بصورة عامة عن القضايا العلمية وغير العلمية ، فأنت غير متحضر .

رأى بول ديفيز

(من علماء الفيزياء النظرية)

ها قد بدأ صوت العلماء يصل إلى الناس يأسر عقولهم ، كما يأسر قلوبهم – هكذا تقول النجاحات الهائلة للكتب العلمية . هبَّ رجال الآداب يدافعون في حماس بالغ عن مملكتهم . اتخذ رد الفعل صورة ثرثرة هستيرية بالجرائد والدوريات ، وفيض

من الكتب يتهم العلماء بأنهم متعجرفون دجالون يبحثون عن مصالحهم الشخصية .

لم يحاول إلا قلة قليلة من المفكرين الأدباء بإنجلترا أن يفهموا العلم ، الواضح أنهم قد وجدوا أنفسهم غير قادرين على فهم القضايا التى عرضت في بعض الكتب العلمية الحديثة ، مثل كتاب ستيفن هوكنج (تاريخ موجز للزمان) ، يبدو أن جزءًا من رد الفعل الهستيرى هذا يرجع إلى شعور بالعجز أمام جهلهم . يقول الواحد منهم « أنا متعلم ، لكنى لم أفهم شيئًا من هذا . هذا إذن هراء » . لقد أهمل العلماء سنينا وسنينا لأن أحدًا لم يكن يستمع إليهم ، ولقد بدأ الناس يستمعون إليهم . فبدأت المافيا الأدبية تحاول أن تقمعهم !

رأى نيكولاس همفرى
(من علماء السيكولوجيا)

ثمة ذعر يجتاح أهل الفكر الإنجليز لأن الثقافة قد تجاوزتهم . لقد تعلموا فى المدارس . لقد درسوا كلاسيكياتهم . لقد درسوا الأدب الإنجليزى . لقد رأوا فى العلماء شيئًا كرجال الأساطير . فكل ما كان يجرى بمعامل الكيمياء والبيولوجيا لم يكن يحظى عندهم إلا بالازدراء ، هم يتعاملون مع أفلاطون وأرسطو ويوليوس قيصر . تعود هؤلاء أن تكون لهم السيادة فى ثقافتنا ، وفجأة أصابهم الفزع ، هم لا يفهمون العلم ، ومن ثم كان دفاعهم هو القول :

إن الأمر لا يهم . لكنهم يحاربون معركة خاسرة . من يسمع ماذا فى أيامنا هذه ؟ أية برامج يشاهدها الناس على شاشة التلفزيون ؟ أية كتب يشتريها الناس اليوم ؟

رأى روجـر شانك

(من علماء الكمبيوتر)

أنا عضو بمجلس تحرير الموسوعة البريطانية . كنا نناقش منذ سنة أو سنتين قضية مَنْ سيشرف على الموسوعة في المستقبل ، قرر المجلس ، وكلهم من أهل الأدب ، أن يُسمح بدخول رجال الكمبيوتر – فالعلم يُكَمْتَر الآن . ثم قال كليفتون فاديمان : إن علينا أن نوطد أنفسنا على أن العقول التى ستتولى زمام الموسوعة فى المستقبل ستكون أقل من عقولنا علمًا ، صحت قائلاً « كيف قررت أننى أقل منك تعلما ؟ » رد بسرعة ليخرج من المأزق : « أوه ، أنا لا أعنيك أنت !! اننى أعرف أنك عالم كمبيوتر استثنائى فذ » ، وأنا لست عالمًا استثنائيًا فذًا . إن الغريب فى رجال الآداب هؤلاء هو ما يرونه من أنك إذا لم تعرف الكلاسيكيات فأنت غير متعلم ، بينما يرون في نفس الوقت أن الأمر طبيعى إذا لم يعرفوا هم شيئًا عن العلوم . أنا لا أعرف السبب فى أن يكون هذا الأمر طبيعيًا !

لقد دُفِع بنا نحن العلماء خارج حلقة المفكرين لأسباب لا تهم ،

ربما كان هذا هو السبب فى أن يلجأ العلماء إلى كتابة الكتب للجمهور : هم أكثر الناس بالمجتمع جدارة بالاهتمام ، وهم لا يعتبرون من المفكرين !

لكن ربما كان رجال الأدب الآن مثلهم أيضًا . أنا لست متأكدا من أن هذا البلد يعشق المفكرين كثيرًا !

نحن والثقافة الثالثة

لم تقم بعد لدينا (يا للأسف !) معركة كهذه بين الثقافتين ! يبدو أن جبهة الثقافة العلمية تفتقر إلى القوة الكافية ، ما زال المفكرون الأدباء يسيطرون على أدوات الاعلام ، وما زالوا هم وحدهم تقريبًا من يُوَجِّه . قيل يوما إن محور معرض الكتاب عام (١٩٩٦) سيكون العلم ، ثم خفتت الفكرة رويدًا رويدًا ، حتى ماتت وأهيل عليها التراب وتولت الثقافة (الأولى !) ترتيب كل شىء ، لم تظهر لدينا بعد ثقافة ثالثة واضحة . عدد الكتب المؤلفة فى هذا المجال محدود جدًّا ، وعدد الكتب المترجمة أيضًا . لا يظهر العلم إلا على استحياء بأجهزة الإعلام من صحافة وإذاعة مسموعة ومرئية . انتبهت هيئة الكتاب فأصدرت سلسلة « الألف كتاب الثانية » ونشرت بعض كتب الثقافة الثالثة – ومثلها فعلت أيضًا بعض دور النشر الخاصة ، إن يكن بإسهام متواضع ، فطنت أيضًا بعض المجلات

الجادة إلى أهمية تطعيم مادتها بما يتيسر من مقالات علمية (وإذا ما جاءتها وضعتها فى خجل في مكان لا يزعج القارئ) . وعندما قرر رئيس تحرير مجلتنا الغراء (الهلال) أن يتضمن كل عدد مقالة على الأقل فى العلوم ، لم يسعفه إلا عدد قليل من رجال العلم ، المستقبل يطلب أن يأخذ العلم موقعه اللائق بين ما يقرؤه الناس ويسمعونه ويشاهدونه ، أن يدرب الناس على الاهتمام بالعلم وقضاياه . هذا أمر ضرورى لبقائنا فى عالم الغد .

ولأن الثقافة الثالثة موجهة إلى غير المتخصصين ، إلى العقل العام ، فمن الممكن أن تطرح كل القضايا العلمية التى تناقش فى الغرب – حيث يُصنع العلم الآن . لقد أصبح العالم قرية صغيرة . الأمر يتطلب حركة ترجمة نشطة لكتب هذه الثقافة الثالثة بالتحديد ، ولقد تفسح وسائل الاعلام مساحة واسعة لعرض مثل هذه الكتب ، ولنقد الترجمة ، ولنقد الأفكار .